الفصل العاشر

نابليون بونابرت وعصره

ولد بونابرت فى عام ١٧٦٩ فى مدينة "أجاكسيو" عاصمة "كورسيكا" الواقعة بين ايطاليا وفرنسا، واتجهت ميوله منذ حداثة سنه إلى الخشونة واعمال الحرب فبينما كان أخوته يشترون لعبا عادية ويرسمون على الجدران وجوها آدمية وحيوانات نراه يشترى بمصروفه سيفا صغيرا ونفيرا ويرسم على الحوائط صفوفا متراصة من الجند وكأنها فى حومة الوغى، وإلى جانب ذلك فقد برزت عليه حب الزعامة، فكان بونابرت يجمع رفاقه ويقسمهم قسمين يجعل نفسه على رأس أحدهما ويجعل على رأس الفريق الثانى أصلبهم عودا وقواهم بنية، ثم يأمر كل فريق بالهجوم على الآخر فتدور معركة بالأيدى والطوب والعصى وتظل ناشبة حتى يفر الفريق الأخر من أمامه، فيقف مزهوا يثنى على همة الشجعان من مجموعته وينهال بالضرب على فاتر العزيمة أو المقصر ثم يعود إلى منزله دامى الوجه واليدين ممزق الثياب فتنهره والدته فيتلقاها باسما بقوله لقد أنتصرت.[١]

وقد أظهر بونابرت تفوقا فى حياته الدراسية على أقرانه خصوصا فى علوم الرياضيات والتاريخ السياسى، وتراجم سير القادة الزعماء، والجغرافيا، وبرزت عليه علامات النباهة والذكاء، وبعد النظر والأضطلاع بالمسئوليات الجسام.

وقد واصل بونابرت تعليمه حتى التحق بمدرسة باريس الحربية فى أكتوبر ١٧٨٤م ، وهناك تفتحت عبقريته العسكرية حيث بدأ العمل فى صمت، واعتكف على المطالعة والدرس والاجتهاد، وكان مما قرأه وتحمس له كتاب " العقد الاجتماعى" لجان جاك روسو، والذى قال عنه " لولا روسو ما حدثت الثورة الفرنسية وبعد تخرجه عين برتبه ملازم فى سلاح المدفعية، فبرز تميزه بالجلد وقدرته على التنظيم، واستعداده لتحمل المسئولية والقيادة، وايمانه بأن الحق يؤخذ ولايعطى وكان بحكم تكوينه محبا للنظام والقانون ومعاديا للفوضى، ومن هنا وجدت فيه كل قوة تعين على التكاتف الاجتماعى عونا ونصيرا.

---

[١] حسن الشريف: المأسى التاريخية الكبرى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦، ص ١١٩.

فلما قامت الثورة الفرنسية، كان بونابرت من اشد المدافعين عنها وعن أهدافها، كما كان من المتحمسين للفكر الجمهورى الثورى، ولأفكار أدباء القرن الثامن عشر أمثال فولتير ومونتسكيو وروسو.

وخلال أحداث الثورة، والصراع المرير فى فرنسا على السلطة ظهر طموح بونابرت الواسع، خصوصا بعد أن تزوج من جوزفين[1] التى فتحت أمامه أبواب الشهرة والمجد، وقد برزت مهارة بونابرت وقدرته على مواكبة الأحداث، وظهر ذلك أثناء حصار طولون فى عام ١٧٩٣م وتمكنه من الاستيلاء على هذه المدينة وتخليصها من يد الانجليز.

وعندما تم اختياره قائدا لقوى الأمن الداخلى فى فرنسا أثناء حكومة الادارة تمكن من اعادة الهدوء والنظام إلى فرنسا، واكتساب ثقة الجماهير، والقضاء على المظاهرة التى قام بها الملكيون والعناصر المحافظة ضد المؤتمر الوطنى، كما كان السند الحقيقى لهذه الحكومة ولدستور عام ١٧٩٥ يضاف إلى ذلك أنه تمكن من انقاذ الحكومة من العناصر الملكية فى عام ١٧٩٧.

ولما كانت فرنسا محاطة آنذاك بأعداء كثيرين خصوصا بعد تصريحات زعمائها باستعدادهم لتأييد كل أمة تطالب بحريتها، مما اعتبره البعض تهديدا مباشرا لدول أوربا الملكية مثل بريطانيا، وروسيا، وبروسيا فقد اعتبرت حكومة الادارة نفسها فى حالة حرب مع جيرانها خصوصا بريطانيا والنمسا، وشرعت فى رسم خططها لمحاربتهم، ونظرا لأن بريطانيا كانت محصنة بحريا، ولا يقوى الأسطول الفرنسى على الوصول إلى شواطئها، فقد تركزت الجهود لشن هجوم على الممتلكات النمساوية فى ايطاليا، فأرسلت حكومة الادارة عدة حملات إلى هذه المناطق فى عام ١٧٩٦ كانت أحداها تحت قيادة بونابرت الذى نجح فى أداء مهمته التى فشل القادة الآخرون فيها، ويرجع ذلك إلى قدرته الحربية الفائقة، ومهارته فى السياسة وتمكنه من اتخاذ القرارات فى الوقت المناسب وقدرته الواضحة على التمييز بين الممكن وغير الممكن فبعد أن وجد قواته أمام جيش مشترك من السردينيين والنمساويين تمكن من أن يعزل بينهما وينزل الهزيمة بالسردينيين ويفرض عليهم الهدنة التى انسحبوا بمقتضاها من الحرب متخلين عن سافوى ونيس لفرنسا ثم زحف على ميلانو، وانتصر على النمساويين فى عدة معارك أهمها معركة ريفولى، وتقدم بونابرت إلى الحصن النمساوى الرئيسى فى ايطاليا وهو حصن

---

[1] أرملة الجنرال بوهارنيه أحد ضحايا حكم الارهاب وكان لها منزلة كبيرة فى قلوب الفرنسيين.

"مانتوا" العظيم الذى كانت تحميه مدفعية قوية، وتحيط به البحيرات والمستنقعات من معظم الجوانب، واستطاع الاستيلاء عليه.

ونتيجة لذلك اضطر النمساويون فى ١٧ من اكتوبر ١٧٩٧ إلى توقيع صلح "كامبوفورميو Compo Formio" وبمقتضاه تم التنازل لفرنسا عن الأراضى البلجيكية، وولاية الراين، واقامة جمهورية فى شمالى ايطاليا وأعطيت معظم الجزر الايونية لفرنسا، وهكذا نجح بونابرت فى اخراج النمسا من الحرب، وعزل بريطانيا التى بقيت فى الميدان وحدها مما زاد من ثقته فى نفسه، وجعله فى نظر الشعب الفرنسى رجل فرنسا الأول، وبانت للدنيا قيمة هذا البطل الذى برهن على مهارته السياسية إلى جانب براعته الحربية.

ولما أصرت حكومة الادارة على هزيمة بريطانيا قبل توقيع أى صلح معها أعدت جيشا أطلق عليه جيش انجلترا، ودربته على غزو الجزر البريطانية، ولكن تفوق الأسطول البريطانى جعل ذلك المشروع ضربا من الخيال، ومن هنا أخذت حكومة الادارة تبحث عن نقطة ضعف فى غريمتها،وخلال ذلك أرسل "بونابرت" إلى حكومة الادارة برقية يقول فيها (لأجل القضاء على انجلترا ينبغى غزو مصر) وكان بونابرت يقصد بذلك أن مصر هى المركز الخطير الذى يمكن عن طريقه تهديد مركز الانجليز فى الهند، وقد انتهزت حكومة الادارة هذه الفرصة لابعاد بونابرت عن مسرح الأحداث نظرا لما أصبح يتمتع به من شعبية جارفة، ومن ثقة الجيش فى قدراته، فكلفت بونابرت باعداد حملة للاستيلاء على مصر، وطرد الانجليز من جميع ممتلكاتهم التى يستطيع الوصول إليها وقد سعد بونابرت بهذا التكليف الذى كان يحقق حلمه بانشاء امبراطورية فى الشرق، وأعد العدة لذلك فأخذ معه من غير العسكريين مجموعة من العلماء، ووصلت الحملة إلى مصر فى عام ١٧٩٨، وتمكن بونابرت خلالها من هزيمة المماليك، كما أذاع منشوره على المصريين، ولكن هذه الحملة كان مصيرها الفشل خصوصا بعد تحطيم الأسطول الفرنسى فى موقعة أبى قير، وانقطاع سبل الاتصال بين الحملة وفرنسا، وقطع الامدادات عن قوات بونابرت، كما وجد بونابرت نفسه منعزلا ومضطرا إلى الاعتماد على موارد مصر التى أرهقها المماليك من قبل كما فكر فى ضرب التحالف العثمانى الانجليزى، وتوسيع ممتلكاته وذلك بالزحف على سوريا، ولكن آماله تحطمت عند اسوار عكا، فانسحب إلى مصر منقلا بأول هزيمة خلال قيادته لقواته.

ولما بلغته الأنباء من أوربا بهزائم بلاده وتدهور أحوالها، وتكوين تحالف دولى ضدها بزعامة بريطانيا، عقد العزم على مغادرة مصر إلى فرنسا وترك قواته تحت قيادة كليبر فبارح الاسكندرية سرا فى ٢٣ اغسطس ووصل إلى فرنسا فى ٩ اكتوبر ١٧٩٩. فكانت عودته بالنسبة للفرنسيين بمثابة عودة الأمل الضائع، ووصول الرجل المنتظر الذى يستطيع تصحيح أوضاع فرنسا، وانقاذها من الفوضى والاضطراب الذىحل بها فاستقبل بحماسة شديدة، وحفت به الجماهير من كل جانب حيث ذكر الناس انتصاراته خلال حروبه فى ايطاليا، وكان أمامه اولا التخلص من أعضاء حكومة الادارة بطريقين أما اغرائهم بالاستقالة أو استعمال القوة، ولما لم ينجح الحل الأول لجأ إلى القوة والعنف واستطاع الفوز بالسلطة بعد انقلاب بروميير[١] وأعلن عن نوع جديد من أنواع الحكم فى فرنسا وهو النظام القنصلى.

لقد كان بونابرت يعرف حق المعرفة أن النصر وحده هو الكفيل بأن يحفظ له المركز الذى فاز به.

ولما كان لابد من اعطاء هذا الانقلاب صفة الشرعية فقد جرى تعديل الدستور حيث وضع لفرنسا دستورا جديدا وهو الدستور المعروف بدستور ١٧٩٩م، وقد جاء هذا الدستور مطابقا لأفكار ونظريات بونابرت فى الحكم، ولرغبته فى الحكم الفردى، والتأييد الشعبى المطلق له، فجمع كل السلطات فى يديه حتى يتمكن من بناء فرنسا الحديثة، وقد جعل "بونابرت" نفسه مسئولا عن انقاذ فرنسا من فوضى الصراعات الداخلية والمخاطر الخارجية لذلك وضع نفسه فوق كل الأحزاب ومن هنا قضى الدستور الجديد بوضع السلطة التنفيذية فى يد ثلاثة قناصل يتم انتخابهم بواسطة مجلس الشيوخ، ويستمرون لمدة عشر سنوات، وقد تولى بونابرت مركز القنصل الأول على أن يساعده فى مهمته قنصلان آخران يقوم باختيارهما بنفسه، وكان دورهما يتركز فى القيام بدور نواب القنصل الأول. وفى ظل النظام القنصلى نعم الفرنسيون بحياة افضل، فأعيد الاستقرار وازدهر الاقتصاد، وتم تنظيم الجيوش، وأعيد الرخاء

---

[١] بروميير معناه شهر الغيوم، وهو أحد الأشهر المتعارفة لدى رجالات الثورة الفرنسية بعد أن غيروا اسماء الشهور كلها، وسموها باسماء اخرى جاعلين يوم ٢٢ سبتمبر بدء العام وهو تاريخ المناداة بالجمهورية. أما عن أسماء الشهور فقد قسموها على شهور السنة الأربعة كل فصل ثلاثة شهور، يتكون كل شهر من ٣٠ يوما فشهور الخريف كانت شهر المعاصر، وشهر الغيوم، وشهر الجليد وشهور الشتاء تكونت من شهر الثلج، وشهر المطر، وشهر الرياح وشهور الربيع هى شهر النبات، وشهر الزهر، وشهر الحقول وشهور الصيف كانت شهر المواسم، وشهر الحر، وشهرالأثمار وكان يضيفون بعد شهر الأثمار وهو آخر شهور السنة خمسة أيام فى السنيين غير الكبيسة، وستة أيام من السنيين الكبيسة وتدعى هذه الأيام تكملة. وقد ظل هذا الحساب مستعملا فى فرنسا حتى نهاية عام ١٨٠٥.

لكل مرافق الدولة، وإلى جانب ذلك فقد تقرر أن يتولى وضع القوانين فى فرنسا ثلاث هيئات هى:-

١- مجلس الشيوخ المحافظين ويتكون من ستين عضوا يختارهم القناصل وتنحصر مهمتهم فى الاشراف على تطبيق أحكام الدستور، وانتخاب اعضاء مجلس التربيون والجمعية التشريعية.

٢- مجلس التربيون ويضم مائة عضو مهمتهم دراسة مشروعات القوانين المقترحة ومناقشتها.

٣- الجمعية التشريعية وتضم ثلاثمائه عضو ومهمتهم الادلاء باصواتهم بشأن المقترحات التى ترد إليهم من مجلس التربيون.

ولما عرض هذا الدستور على الشعب وافق عليه بأغلبية ساحقة، وعلى الرغم من أن هذا الدستور وضع كل السلطات فى يد بونابرت تقريبا، فقد وفر للفرنسيين حياة مستقرة كما أن ثقة الفرنسيين فى شخصه والأمال العريضة التى علقوها عليه جعلتهم يعطونه كامل ثقتهم، بمعنى أن بونابرت الذى سلب من الشعب الفرنسى سلطانه السياسى، منحه نعمة المساواة بين طبقاته، كما فتح أمامه أبواب التقدم إلى أرقى المناصب وكان من أبرز المشاكل التى أراد بونابرت حسمها هى كسر شوكة أعداء فرنسا وهزيمتهم خصوصا النمسا وبريطانيا بعد ان تطاولوا على بلاده فى غيابه فقد هاجم النمساويين الذين كانوا قد أعادوا احتلال ايطاليا، وانزل بهم هزيمة ساحقة وأعاد بذلك سيطرته على ايطاليا، ونجح فى تحطيم التحالف الأوربى الثانى ضد بلاده، وقد أثارت أخبار هذا النصر موجة عارمة من الحماس داخل فرنسا أدت إلى توطيد نفوذ بونابرت السياسى.

وبذلك وقفت بريطانيا وحدها فى الميدان، وقد حاول بونابرّت تأليف قوة بحرية كبيرة من البلطيق مكونة من الدنمارك والسويد وبروسيا والروسيا فى ديسمبر ١٨٠٠ استعدادا لمحاربة بريطانيا، ولكن الانجليز تمكنوا من تدمير هذه القوة بهزيمتهم للأسطول الدنماركى، وخلال ذلك مات قيصر الروسيا مما أدى إلى انفراط عقد التحالف.

ولما اتضح للطرفين ان الحروب لم تنته بينهما بسهولة ونتيجة لتعرض بريطانيا لمشاكل داخلية صعبة ولشعور بونابرت بأهمية الوصول للتفاهم مع بريطانيا حتى يتمكن من

تأكيد سيطرته على أوربا كل ذلك ساعد على قناعة الطرفين بوضع حد للصراع بينهما وبضرورة اللجوء إلى المفاوضات وانتهى الأمر بعقد صلح أميان Amiens فى ١٧ مارس ١٨٠٢ والذى تناولت فيه انجلترا عن كل الفتوحات التى كسبتها على حساب فرنسا وكان أهم نصوصه ما يلى:-

١- اعتراف بريطانيا بحدود فرنسا الطبيعية.

٢- اعتراف بريطانيا بضم فرنسا لبلجيكا، وقسم من هولندا واراضى الضفة اليسرى لنهر الراين.

٣- بقاء النفوذ الفرنسى فى ايطاليا.

٤- تنازل بريطانيا عن جزيرة مالطة لأصحابها الشرعيين.

٥- تنازل بريطانيا عن المستعمرات التى أخذتها من فرنسا فى هولندا وأسبانيا.

٦- تعهد فرنسا بالانسحاب من مصر واعادتها للعثمانيين وبالجلاء عن نابلى والأراضى الباباوية.

وهكذا أعطى هذا الصلح مكاسب ضخمة للفرنسيين، وجاءت نصوصه متفقة مع الأمر الواقع باستثناء تعديلات بسيطة، وإذا كان البعض قد اعتبر هذا الصلح بمثابة نهاية لعصر الحروب بين بريطانيا، وفرنسا فانه فى الحقيقية لم يكن سوى هدنة مؤقتة بين الطرفين.

هذا عن المكاسب الخارجية التى جلبها بونابرت لبلاده، أما عن المكاسب الداخلية فقد عمل بونابرت على ارضاء جماهير الشعب الفرنسى مقتنعا بأن الاتحاد اساس العظمة القومية وأنه سر النظام الاجتماعى، فعمل على ايجاد اتفاق بين فرنسا والكنيسة. وبعد مفاوضات طويلة أمكن التوصل إلى اتفاق "الكنكردات" فى ١٦ يوليو ١٨٠١م. فى عهد البابا " بيوس السابع" وبمقتضاه اعترفت فرنسا بالكنيسة الكاثوليكية وسيادتها الروحية مع السماح للسلطات الحكومية بالتدخل لفرض النظام والأمن بالقوة إذا اقتضى الأمر، وفى مقابل ذلك اعترفت الباباوية بالقوانين التى صدرت فى عهد الثورة الفرنسية والخاصة بالكنيسة على أن تقوم الحكومة الفرنسية بدفع مرتبات رجال الدين، ويقوم القنصل الأول بتعيين الأساقفة على أن يوافق البابا على ذلك التعيين.

وعلى الرغم من أن هذه الاتفاقية اعتبرت تنازلا عن أحد مكاسب الثورة، فقد كان بونابرت أبعد نظرا، حيث ارضى جماهير الفلاحين الذين كانوا يرغبون فى التمسك بضرورة التقرب من الكنيسة. كما أنشأ بونابرت نظاما قوميا للتربية والتعليم، واهتم بالتعليم الفنى.

يضاف إلى ذلك أن أهم انجازات بونابرت الخالدة وأهمها كانت وضعه للقانون المدنى الفرنسى حيث شكل من أجل هذا الغرض لجنة تضم أكبر المشرعين الفرنسيين وقد وضع بونابرت فى هذا القانون آراءه ونظرته للحياة والمجتمع من حيث تقديس سلطة الأب على أسرته، كما اعترف هذا القانون بالزواج المدنى وأبقى على الطلاق، وضمن جميع الحريات مثل حرية الفكر والقول والعقيدة والعمل، وقد عرف هذا القانون باسم قانون نابليون وتم اصداره فى عام ١٨٠٤.

ويعتبر هذا القانون من اشهر الموسوعات القانونية فى العالم من حيث التركيز على المساواة الاجتماعية والتسامح الدينى واحترام الحياة العائلية والملكية الخاصة وبمقتضاه نعمت فرنسا بتثبيت سلطة الأب فى مجال الأسرة كما تمتع الشعب الفرنسى بحق الملكية الخاصة وبحياة حرة مستقيمة فى ظل اطار تشريعى سليم، وإلى جانب ذلك أهتم بونابرت بقضايا التعليم، وعمل على ايجاد الحلول المناسبة لها وخاصة فى التعليم الثانوى والجامعى، وانشأ مدارس ثانوية رسمية تمولها الدولة واهتم بالتعليم الفنى كما أنشا جامعة رسمية فى عام ١٨٠٨م تدار مباشرة من قبل الدولة ويتعلم فيها الطلاب سائر ألوان العلوم والمعرفة وأناط بها الاهتمام بالثقافة والفنون والآداب وتشجيع روح الدقة العلمية فى الادارات والمصالح الحكومية.

كل هذه الاصلاحات جعلت للقنصل الأول بونابرت من الشعبية ما جعل الفرنسيين ينادون به قنصلا مدى الحياة، ثم امبراطورا لفرنسا على أمل أن يمنح بلاده التى انهكتها الحروب السلام والرفاهية، ولكن كل هذه الأمال قد تبددت نظرا لأن سياسة نابليون كانت دائما تثير مخاوف منافسيه وخاصة بريطانيا.

ونتيجة لرضاء الشعب الفرنسى عن أعمال بونابرت تقدم البعض باقتراح تجديد مدة قنصليته لفترة أخرى تبلغ عشر سنوات عرفانا بفضله فى اقرار السلام، والاصلاحات الداخلية التى أسعدت شعبه.

ورغبة فى استئثار بونابرت بالانفراد بدفة الحكم تم تعديل هـذا الاقتـراح بتجـاوب منقطع النظير من قبل الشعب الفرنسى ومجلس الشيوخ فتولى بونابرت القنصلية مدى الحيـاة كما أدخلت بعض التعديلات على الأجهزة الدستورية بحيث أصبحت فرنسا تعيش فـى ظـل حكومة فردية، وظلت شعبية بونابرت فى ازدياد خصوصا بعد أن ازدادت المؤامرات ضـده واستمرت كراهية أوربا ولاسيما بريطانيا له ونتيجة لذلك أعلنت فرنسا عـن ثقتهـا التامـة ببونابرت ومنحته لقب امبراطور الفرنسيين فى ١٨ من مايو ١٨٠٤ وذلك بعد صدور قـرار من مجلس الشيوخ، وبعد استفتاء حصل فيه على اغلبية الأصوات، ولما كانت علاقة فرنـسا بالبابوية فى ذلك الوقت طيبة فقد حضر البابا "بيوس التاسع" من كرسيه بروما إلـى بـاريس ليتوج نابليون وزوجه جوزفين فى كنيسة نوتردام، وفى حفل مهيب اختطف نابليون التاج من يد البابا وتوّج نفسه بنفسه كما توج جوزفين أيضا ثم أقسم يمـين الامبراطورية. واسـتمر امبراطورا حتى عام ١٨١٥ كان خلالها أكبر شخصية سياسية وعسكرية فى أوربـا، ومـن عمالقة التاريخ الذين يشار إليه بالبنان.

نعود إلى الظروف الخارجية التى أحاطت بفرنسا خلال هذه الفترة فنقـول أن صـلح "أميان" بين الفرنسيين والانجليز لم يستمر طويلا إذ سرعان ما اندلعت نيران الحرب من جديد بين فرنسا وبريطانيا، ثم بين فرنسـا وأعضاء الحلف الثالث الأوربى[1] فقد قطعت العلاقـات بين بريطانيا وفرنسا فى مارس ١٨٠٣ على أثر القاء نابليون القبض على بعض الانجليز ثـم اندلعت نيران الحرب التى لم تقتصر على الدولتين المتنافستين بل حاولت كل منهما ربط دول أوربا بتحالفات معها لدرجة أن انغمست معظم هذه الدول تقريبا فى هذا الصراع.

وفى أعقاب ذلك أعاد نابليون احتلال نابولى وحول ايطاليا إلى ملكية وراثية يحكمهـا ابن زوجته يوجين، وأرسل جيشا إلى هولندا، وتوغلت قواته فى المانيا واستولت على هانوفر التى كانت تحت التاج البريطانى مما أدى إلى اضطرار الولايات الالمانية إلى محالفته، كمـا وضع أمراءها أنفسهم تحت حمايته. وإلى جانب ذلك حاول نابليون جر روسيا وبروسيا إلـى محالفته ولكنه لم ينجح فى ذلك.

---

[1] كان يتكون من بريطانيا وروسيا، والنمسا، والسويد، وبروسيا.

ونتيجة لاقتراب موعد المواجهة فكر نابليون فى توجيه ضربة إلى بريطانيا عن طريق غزوها وقهرها فى عقر دارها[١] وأخذ فى اعداد العدة لذلك خصوصا بعد وقوف أسبانيا إلىجانبه، ولكن سرعان ما اتضح له أن النجاح لايمكن أن يكون من نصيب خطته وذلك لقوة البحرية البريطانية، وصعوبة السيطرة على المانش وخاصة بعد قيام الأسطول الانجليزى بقيادة نلسن[٢] بمباغته الأسطول الفرنسى عند "الطرف الأغر" وهزيمته. مما أكد قوة الأسطول الانجليزى أمام منافسه.

وكرد فعل لذلك، وخشية من عواقب الأمور وجه نابليون قواته إلى المانيا حيث احرزت انتصارات رائعة على الجيش النمساوى فى أولم Ulm فى المانيا، فى ٢٠ من اكتوبر ١٨٠٥، أى بعد معركة "الطرف الأغر" بيوم واحد فقط، كما تمكن الفرنسيون من احتلال فينيا، وهزيمة جيشا روسيا نمساويا مشتركا فى معركة "اوسترلتز" التى يسميها بعض المؤرخين " موقعة الاباطرة الثلاثة". هذا إلىجانب هزيمتهم للبروسيين فى موقعة " جينا" ١٨٠٦ والوصول إلى برلين، ولما لجأ "فردريك وليم الثالث" طالبا حماية الروسيا، قام نابليون بتأديب القيصر "اسكندز الأول" وهزم الروس فى موقعة "فريدلند" ونتيجة لذلك طلب القيصر الصلح فعقد صلح "تليست Tilsit" فى يوليو ١٨٠٧، وبمقتضاه تخلت بروسيا عن أملاكها غرب نهر الألب، كما اعترف القيصر بالتغيرات التى أحدثها نابليون فى المانيا، وتعهد بالانضمام إليه فى تنفيذ الحصار القارى على بريطانيا، وفى نظير ذلك تعهد نابليون بمساعدة القيصر فى تحقيق مطامعه فى فنلنده وتركيا. كل ذلك دفع نابليون إلى ان يوجه كل جهوده ضد بريطانيا التى كانت العقبة الكئود أمام كل أطماعه، ولما كانت هزيمة الانجليز فى البحر فى حكم المستحيل فقد اتخذ الصراع مع بريطانيا طابعا جديدا كان له أعمق الأثر فى تغيير مجرى الحوادث فى أوربا فقد رأى نابليون أن قوة انجلترا تكمن فى صادراتها وبأن دول أوربا هىسوقها الرئيسى وأنه من الممكن بعد ان بسط نابليون سلطانة على أوربا محاصرة بريطانيا اقتصاديا بأن يفرض عليهاحصارا قاريا عن طريق أقصاء السفن الانجليزية عن

---

[١] جرانت، ص ٢٠٨.

[٢] من المعروف ان القائد "نلسن" هو الذى حطم الأسطول الفرنسى أيضا فى موقعة أبى قير البحرية ١٧٩٨، ولكنه لقى مصرعه هذه المرة

جميع موانئ أوربا مما يجعل الانجليز يموتون جوعا ولذلك أصدر "مرسوم برلين" ١٨٠٦ والذى يقضى بفرض حالة حصار دائم على جميع الثغور البريطانية وتحريم كل أنواع التجارة بينها وبين الأراضى التى تخضع لحكم نابليون أو نفوذه، كما حرمت السفن البريطانية من دخول ثغور فرنسا أو حلفائها والا تعرضت للأسر وردت الحكومة البريطانية على ذلك باتهام فرنسا بالخروج على تقاليد الحرب وضربت بريطانيا الحصار على الأراضى والأملاك الفرنسية.وهكذا أقصى نابليون بقوته البحرية بريطانيا عن التجارة مع أوربا فعزلت بريطانيا ببحريتها أوربا الفرنسية عن التجارة مع بقية العالم، ومما لاشك فيه ان بريطانيا قد تأثرت من هذا الخطر الذى سمى بالنظام القارى فقد تفشت البطالة وكسدت التجارة وكثرت حالات الافلاس غير أنه وان كانت للأسواق الأوربية أهمية بالنسبة لبريطانيا فان باقى العالم كان مفتوحا[١] مما جعلها تصمد أمام هذا الحصار بشكل لم يتوقعه نابليون وكان أسوا نتائج نظام نابليون القارى من نصيب الدول الأوربية الواقعة تحت السيطرة الفرنسية فقد وجدت هولندة[٢] فى هذا النظام قضاءا تاما على حياتها التجارية ولم تتلق شكواها أذانا صاغية كما وجدت الدول الأخرى الحليفة لفرنسا أن فى تطبيق الحصار القارى على انجلترا ضررا كبيرا يمكن أن يؤدى إلى موت شعوبهم جوعا.

كل ذلك جعل هذه الدول تفكر فى الخروج على هذا الحصار، مما سبب لنابليون كثيرا من المتاعب وكانت البرتغال هى أولى الدول التى خرجت عنه خصوصا وأن حياتها الاقتصادية تعتمد فى المقام الأول على التجارة مع بريطانيا وحتى لا تحذو الدول الحليفة لفرنسا حذو البرتغال اسرع نابليون بارسال حملة إلى أسبانيا فى محاولة لتأديب البرتغال، مما أثار الشعور القومى وكان ذلك فاتحة نهاية عصره حيث أصطبغت هذه الحرب بصبغة تختلف تماما عن كل الحروب الأخرى حيث لم تقتصر الجيوش الفرنسية على محاربة الحكومات وجيوشها النظامية بل أصبحت فى مواجهة الشعوب التى أخذت تضطلع بدور تلقائى فى محاربة الغزاة. فالجيوش الفرنسية التى لم تهزم من قبل على ايدى جيوش نظامية قبل عام ١٨١٣ أصبحت تواجه جيوشا شعبية فى أودية اسبانيا وجبال التيرول مما أنهك قواها بدرجة كبيرة وأدى إلى بث الرعب بين أفرادها، وأوقعها فى ورطة لم تكن فى حسبانها.

---

(١) جرانت ، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) كانت يحكمها وقتئذ لويس بونابرت.

نابليون مع ملكة بروسيا في تلست

يضاف إلى ذلك تورط نابليون باصطدامه مع الشعور الدينى فى أوربا خصوصا بعد أن قام فى مايو ١٨٠٨ بضم أملاك البابا إلى فرنسا ورد البابا على ذلك بحرمانه من غفران الكنيسة، مما جعل نابليون يأمر بالقبض على البابا وسجنه فى بلده قريبة من مدينة جنوة مما أثار ثائرة الشعوب الكاثوليكية ضده، وجعل البابا يرفض تثبيت الأساقفة المعينين فى فرنسا من قبل نابليون مما تسبب فى جعل ٢٧ أسقفية شاغرة فى فرنسا. وكان رد نابليون على ذلك هو اصدار قرار يخول لرؤساء الأساقفة حق تثبيت اساقفة فرنسا وأعطاتهم السلطة الروحية طالما أصر الباب على عناده.

ونتيجة ذلك ظهرت بارقة الأمل فى امكان تحرر أوربا من سيطرة نابليون. لقد دفعت العاطفتان الرئيستيان عند الشعب الأسبانى وهما الدين والعزة القومية إلى مقاومة الفرنسيين بعناد، وراحت الأقاليم والمدن الأسبانية تعلن تلقائيا رفضها لحكم نابليون، وأعلنت بريطانيا استعدادها لتقديم المعونة لكل من أسبانيا والبرتغال، وتمكن الاسبان من الحاق أول هزيمة جدية بجيوش نابليون عند " بايلن Baylen" وأرغموها على اخلاء مدريد كما أجبروا أحد القادة الفرنسيين على التسليم بقواته المكونة من ٢٣ الف جندى مما شحذ الهمم وآثار دهشة أوربا وكان فاتحة عهد جديد لها. كل ذلك اضطر نابليون إلى الحضور بنفسه لتولى زمام الأمور ورد هيبة الجيوش الفرنسية فاحتل مدريد وبطش بأهلها حتى دانت له العاصمة الأسبانية. ولكن ذلك لم يستمر طويلا حيث بدأ الاسبان حروبهم غير النظامية بطريقة ملفتة للانظار خاصة بعد أن اظهر الرهبان والزراع منهم قدرة خارقة فى الدفاع عن بلادهم.[1] مما استنزف القوات الفرنسية، وجعل حروب اسبانيا بالنسبة لهم وكأنها السرطان الذى يستنزف قواهم، ونتيجة لذلك لعبت الروح القومية بين الأوربيين دورها، فبادرت أوربا بمساعدة اسبانيا، والانقضاض على حكم نابليون، كما انتهزت بريطانيا الفرصة فأرسلت جيشا إلى البرتغال لمساعدة الاسبان والبرتغاليين فى دحر القوات الفرنسية. كما واتت اوربا الفرصة للتخلص من الحصار القارى الذى فرضه نابليون عليها والذى أدى إلى الركود الاقتصادى وخفض مستوى المعيشة فحاولت النمسا فى عام ١٨٠٩ استفزاز القوات الفرنسية مما أدى إلى اعلان نابليون الحرب على النمسا، ومع أن القوات النمساوية أظهرت مقاومة مستميتة، فانها

---

[1] جرانت: المرجع السابق، ص ٢٣٩-٢٤٢.

لم تستطع الصمود أمام القوات الفرنسية، فسرعان ما حلت بها الهزائم وفتحت أبواب "فينا" أمام نابليون فى مايو ١٨٠٩.

وإلى جانب ذلك بدأت بروسيا استعدادتها لخوض غمار حرب التحرير كما أخذ الرأى العام الأوربى يتجه إلى مناواه نابليون بصورة متزايدة، وأخذ الشعور القومى فى أوربا يقوى ويتزايد، وظلت الحرب الاسبانية مستعرة الاوار. وقبل ان يتمكن نابليون من اخماد هذه الحركات جاءه من الشرق خطر اشد فقد قرر قيصر الروسيا الانسحاب من الحصار القارى واستئناف علاقات بلاده مع بريطانيا مما أدى إلى فرط عقد التحالف بينه وبين فرنسا وبداية الاحتكاك مع نابليون الذى جهز جيشا قوامه ستمائة ألف مقاتل لغزو روسيا، وكانت خطة القيصر لمواجهة هذا الغزو تتركز فى استدراج الفرنسيين إلى داخل بلاده دون الاصطدام بهم فى معركة فاصلة ولتحقيق ذلك أمر جيوشه بالتقهقر أمام القوات الفرنسية، واخلاء المدن والقرى من الزاد والعتاد والسكان قبيل استيلاء الفرنسيين عليها، مما شجع القوات الفرنسية على التوغل فى الأراضى الروسية رغبة فى اللحاق بها وهزيمتها واجبار القيصر على الصلح وبعد أن زحفت القوات الفرنسية إلى موسكو وتوقعت الظفر، وجدت أن أحلامها قد باءت بالفشل حيث وجدت موسكو قاعا صفصفا إذ هجرها سكانها بعد أن احرقوا كل ما كان فيها من مؤن وجياد. ولما حاول بونابرت التفاوض مع قيصر الروسيا وعقد اتفاق للصلح رفض القيصر طلبه. ونظرا لضراوة الأحوال الجوية وقسوة شتاء موسكو اضطرت القوات الفرنسية إلى الارتداد والانسحاب من روسيا فى ١٩ من اكتوبر على أمل أن تعود إلى بلادها سالمة، ولكن القائد الروسى " كوتوزوف" سد الطرق أمامها وجردها من كل امكانات الحياة، فنزلت بها مصائب الجوع والمرض والبرد، والهلاك، ونتيجة ذلك خسر الجيش الفرنسى الألاف من جنوده فى أكبر كارثة حاقت به لدرجة أن قدرت خسائر نابليون على الجبهة الروسية بحوالى ١٧٠ الف قتيل.

ونتيجة للانباء الواردة من موسكو والخسائر التى منى بها نابليون وجدت الدول الأوربية الرازحة تحت حكم نابليون الفرصة للتنفيس عما يجيش فى صدرها ضده، فسرت فى النفوس روح المقاومة وسرعان ما انضمت بروسيا والروسيا والولايات الألمانية الوسطى والشمالية لمواجهة قوات نابليون، وعلى الرغم من خطورة موقف نابليون فانه لم ييأس بل أخذ فى استعادة قواه بعد نكبته فى روسيا ودعا الشعب الفرنسى إلى بذل النفس والنفيس دفاعا عن

امجاد فرنسا حتى وصل عدد جنوده إلى ما يقرب من النصف مليون، وخلال ذلك حاول نابليون أن يفرض على أوربا الصلح بنصر مؤزر، وكان يأمل فى ابقاء بروسيا والنمسا إلى جانبه، ولكن الشعب الروسى أرغم مليكه فردريك وليم على الامتناع عن مساعدة الفرنسيين، والانضمام إلى قيصر الروسيا حتى يتم القضاء على سلطان نابليون فى أوربا، وفعلت النمسا ما فعلته بروسيا، ومع كل ذلك استطاع نابليون أن يهزم البروسيين والروس فى معركتى "لتزن" و"بوتزن" ولكن هذه الانتصارات لم تكن لها فاعليتها حيث أن اوربا قد تغيرت ودبت فيها الروح القومية فتراجع الحلفاء المنهزمين شرقا، ونظموا صفوفهم استعدادا لمعارك أخرى، وجمعوا ما يقرب من مليون رجل وقرروا استنزاف قوى نابليون بالدخول مع قواته فى سلسلة من الهجمات غير الحاسمة، ولما حاول نابليون عقد الهدنة مع خصومه طلبوا منه عودة أملاكهم إليهم فرفض وقرر نابليون أن أعداءه يستعدون إلى مهاجمته فسبقهم إليهم وأحرز نصرا كاملا ولكن ضباطه فشلوا فى تعزيز خططه. وفى ١٦ اكتوبر ١٨١٣ بدأت معركة ليبزج Leipzing" أو " حرب الأمم" ودار القتال فيها طوال ثلاثة أيام ولم يكن كله فى صالح الحلفاء فقد بلغت الخسائر حوالى ١٣٠,٠٠٠ رجل منهم حوالى ٥٠,٠٠٠ من الفرنسيين وفر هو والباقين من رجاله إلى الراين بعد أن فتك المرض بأفراده فتكا ذريعا وسرعان ما استسلمت الحاميات التى تركها نابليون وراءه فى المانيا وعددها حوالى ١٩٠,٠٠٠ رجل فلم يبق أثر لسلطان نابليون شرقى الراين، وكانت الجيوش الفرنسية قد سحبت كلها تقريبا من أسبانيا وأصبح على فرنسا أن تواجه أهوال الغزو التى أذاقتها للعديد من بلدان أوربا وكانت فرنسا قد سئمت الحرب ونضب معينها من الرجال ولحق الخراب بتجارتها وتجاسر البعض على النطق مرة أخرى بشعارات الثورة ورأى الملكيون أن الفرصة سانحة لعودة آل بربون إلى الحكم، ومع ذلك ظلت هناك طائفة تنظر إلى نابليون نظرة تقدير إذ كان يمثل فى رأى الكثير من الفرنسيين رمز الدفاع عن أرض الوطن، وخلال ذلك الوقت العصيب بالنسبة لفرنسا تجلت عبقرية نابليون العسكرية كقائد استراتيجى يمتلك قوة خارقة، واعصاب حديدية استطاع أن يحيل الهزيمة إلى نصر ويلحق بقوات الحلفاء الهزيمة على أرض فرنسا مرتين ونتيجة لذلك اصبح نابليون شخصية شعبية من جديد، وهب الفلاحون فى أقاليم كثيرة من فرنسا يحملون السلاح، ودارت مفاوضات بقصد تسوية الأمور ولكن الآمال سرعان ما تبددت

ولم يبق مفر سوى الاستمرار فى الحرب.[١] وأظهر نابليون جسارته المعهودة، وأحرز الكثير من النجاح ولكن مركزه بدأ يتزعزع خصوصا وأن قواته كانت تعانى الكثير من الأرهاق ولم تكن باريس على استعداد لتحمل ضربات العدو او رده على اعقابه على حين كان اعداؤه يملكون احتياطيا ضخما من العتاد والرجال، وبدأ الحلفاء يتقدمون نحو باريس، وهم يعلنون أنهم لا يحاربون الشعب الفرنسى وانما يحاربون نابليون ومع ذلك فقد دافع الشعب الفرنسى عن بلاده دفاعا مجيدا، وتبادلت القوات المتحاربة الانتصارات والهزائم، وفقد الطرفان الكثير من الأرواح، وفى نهاية الأمر تمكن الحلفاء من دخول باريس فى مارس ١٨١٤.

وعلى الرغم من ذلك فقد راودت نابليون فكرة المقاومة ومواصلة الحرب من خارج باريس ولكنه سرعان ما غير موقفه خاصة بعد ان وجد ان قواته قد سئمت القتال وان الروح المعنوية بين أفرادها آخذة فى الانهيار، فوقع فى ٦ من ابريل ١٨١٤ وثيقة تنازله عن العرش لابنه على ان يكون تحت وصاية زوجته "مارى لويز"،[٢] ولكن الحلفاء رفضوا ذلك، وطلبوا من نابليون التنازل عن العرش دون قيد أو شرط، ونتيجة للضغوط المتزايدة وقع نابليون وثيقة التنازل، وفحواها انه نظرا لأن الدول المتحالفة أعلنت أن الامبراطور نابليون هو العقبة الوحيدة فى طريق اعادة اقرار السلم فى اوربا فان الامبراطور وفاء منه لليمين الذى أداه يعلن تنازله هو وورثته من بعده عن عرش فرنسا وايطاليا.

ونتيجة لذلك أبرمت الدول المتحالفة اتفاقا مع حكومة فرنسا ينص على نفى نابليون إلى جزيرة "البا" Elba بالقرب من سواحل ايطاليا.[٣] على أن يقوم بحكم هذه الجزيرة وتكون ملكا له يقيم بها ولا يغادرها على أن تكون خاضعة لسيادته سياسيا واداريا ويتبعه اليها جيش صغير مؤلف من اربعمائه جندى يختارهم من بين فرقة الحرس الامبراطورى، وثلاثة قواد وقررت له مليونين من الفرنكات كنفقة سنوية تقدمها إليه الحكومة الفرنسية.

وقد حل نابليون بمنفاه فى الرابع من مايو ١٨١٤، حيث استقبله أهل الجزيرة بمظاهر العطف والترحاب ومع أن سقوط نابليون قد أدى إلى تسوية العديد من المشاكل فانه أوجد مشكلة جد خطيرة وهى: من الذى يحكم فرنسا من بعده، واخيرا استقر الرأى على عودة أسرة

---

(١) جرانت، ص ٢٦١-٢٦٣.

(٢) بعد ان طلق نابليون زوجته جوزفين تزوج من الارشيدوقة مارى لويز ورزق منها ولد ذكرا فى ٢٠ مارس ١٨١١.

(٣) جزيرة صغيرة تقع على الشمال الشرقى من جزيرة كورسيكا وكانت من املاك ايطاليا.

آل بربون إلى عرش فرنسا متمثلة فى شخصية لويس الثامن عشر[١] على أن يكون حكمه دستوريا، ونتيجة لذلك عاد الحكم الملكى إلى فرنسا فى مايو ١٨١٤.

كما تم الاتفاق بين الحلفاء فى مؤتمر فينا فى سبتمبر ١٨١٤ على عودة فرنسا إلى حدودها قبيل الثورة، يضاف إليها بعض البقاع عند حدودها الشمالية والشرقية مما يوضح أن الحلفاء لم يكونوا متشددين فى حكمهم نحو فرنسا خاصة وأنهم كانوا يرغبون فى استقرار وعودة السلام إلى أوربا، ورغم كل ذلك فقد انتهز نابليون فرصة اختلاف الحلفاء فيما بينهم على تقسيم الغنائم، وعاد إلى فرنسا وسط ترحيب السواد الأعظم من الشعب الفرنسى بمقدمه وفى مقدمتهم رجال جيشه مما اضطر الملك والنبلاء إلى مغادرة البلاد.

وبعد أن تجمع حول نابليون جيشه القديم دخل باريس فى ٢١ من مارس ١٨١٥م وأخذ فى اعادة تنظيم قواته ثم توجه إلى جبهة القتال فى ١٢ من يونيو هادفا إلى توجيه ضربة قوية إلى القوات البريطانية والبروسية قبل أن يتمكنا من حشد قواتهما،واحرز نصرا محسوسا ضد البروسيين فى "لينى".

ونتيجة لذلك أوقف الحلفاء أعمال مؤتمرهم، وأعلنوا ان نابليون رجل معزول لايحميه قانون، وتحالفوا فى التخطيط لحرب بهدف القضاء عليه، وقرروا غزو فرنسا مرة أخرى، فقابلهم نابليون فى معركة " ووترلو Waterloo" فى ١٨ يونيو حيث دارت معارك ضارية مزق فيها المتحالفون أخر من تبقى من جيوش نابليون فقد أصيبت قوات نابليون بهزيمة قاسية راح ضحيتها أكثر من ثلاثين الف قتيل وعلى اثر ذلك استسلمت باريس للحلفاء، وحاول نابليون الفرار إلى أمريكا، ولكن الانجليز تمكنوا من القبض عليه، وقاموا بنفيه إلى جزيرة القديسة "هيلانة" فى جنوب المحيط الأطلسى تلك الجزيرة النائية السحيقة الجرداء فى وسط المحيط حيث قضى السنوات الست الأخيرة من حياته يقاسى آلام التعنت من حاكمها السير "هدسون لاو" الذى كانت مهمته الاجهاز على الامبراطور والتنكيل به، فتخير لسكن نابليون منزلا حقيرا أكلت الرطوبة بياض جدرانه، واتخذت الجرذان جحورها فى زواياه وأركانه فكانت إذ جن الليل تخرج لترتع فوق سريره وتأكل كتبه وأوراقه، ولم يدع فرصة للتنكيل بنابليون الا واغتنمها حتى مات الامبراطور المريض فى ٥ مايو ١٨٢١ وحيدا شريدا مجردا

---

[١] شقيق لويس السادس عشر، علما بأن لويس السابع عشر ابن ماري انطوانيت قد توفى فى سجنه اثناء الثورة.

من أبسط الحقوق الانسانية، ودفن فى نفس الجزيرة وأقيم حول قبره جنود لحراسة بقايا الميت الذى بلغ من احتقار حاكم الجزيرة له انه لم يأذن فى كتابه اسم نابليون على القبر مع أنه الرجل الذى ظل اسمه يرهب أوربا كلها حتى بعد وفاته.

وإلى جانب ذلك فقد ظلت بقايا أموال نابليون ووصيته فى حيازة الحكومة الانجليزية التى رفضت ان تسلمها لفرنسا.

وهكذا انتهت قصة حياة أحد عباقرة أوربا العسكريين وأكثر الشخصيات تأثيرا فى مجرى تاريخ أوربا، القرن التاسع عشر بعد أن قدم لبلاده كل ما يملك من جهود ليس فقط فى النواحى العسكرية بل فى النواحى السياسية والعلمية والادارية والتشريعية وغيرها.

وقد عبر نابليون عن ذلك فى مذكراته أبلغ تعبير حيث قال" أن الذى لم يمح أبدا هو قانونى المدنى، ومحاضر مجلس دولتى، ومكاتباتى مع وزرائى ، فقانونى ببساطة جلب الخير أكثر مما جلبت القوانين السابقة، ومدارسى والطرق التى ابتكرتها للتعليم أوجدت جيلا جديدا، كما نقصت الجرائم فى عهدى وزادت فى انجلترا.... وقد أردت تأسيس نظام واحد لأوربا، ووضع قانون واحد وانشاء محكمة نقض واحدة لها. ولو تم هذا لبات فى أوربا شعب واحد.[١]

وعلى كل حال فبعد ووترلو تغيرت معاملة الحلفاء لفرنسا وفرضت غرامات حربية عليها كما تم تضييق رقعة حدودها بحيث عادت إلى ما كانت عليه عام ١٧٩٠. وترتب على ذلك أن تؤول بعض المواقع العسكرية إلى ايدى اعداء فرنسا، وان تفرض عليها غرامة حربية، ويحتل اجزاء منها جيوش اعدائها.

والسؤال المطروح هو هل تنفست أوربا الصعداء بوفاة نابليون.

الواقع أنه بالرغم من أن دول أوربا قد استراحت من هذا الكابوس الذى أقض مضجعها نحو ربع قرن من الزمان فان رجال السياسة فيها ظلوا ردحا من الزمن وشبح نابليون يتمثل لهم اينما ساروا وكيفما توجهوا، كما ظلت المخاوف تساورهم خصوصا وان الامبراطورة "مارى لويز" ارملة نابليون كانت تطمع فى تنفيذ وصية زوجها بان يرتقى عرش

---

(١) إميل لودفيج: نابليون – ترجمة محمود ابراهيم الدسوقى، القاهرة، دار الكاتب المصرى، ص ٢٩٠.

فرنسا ابنهما " الملقب بالنسر" هذا إلى جانب ان عرش أسرة البربون التى عادت إلى حكم فرنسا لم تكن ركائزه وطيدة.

وعلى الرغم من عودة أسرة البربون إلى فرنسا بعد "وترلو" فان الأمور لم تتغير كثيرا فى نظام المجتمع الفرنسى، ولم يفكر أحد فى الغاء القوانين التى صدرت أيام الثورة أو أعادت امتيازات الملكية أو النبلاء، وإلى جانب ذلك ناهض العديد من الفرنسيين النظام الملكى، وكان محل كراهيتهم خصوصا وانه أعيد إلى فرنسا على أسنة حراب الحلفاء المنتصرين عليها ونتيجة لهذه الأمور كان مركز "لويس الثامن عشر" (١٨١٤-١٨٢٤) حرجا للغاية. ومع ذلك فقد استطاعت فرنسا فى عهده تنظيم ماليتها، ودفع الغرامة الحربية التى فرضتها الدول المنتصرة عليها، وان يسترجع مكانتها السياسية بين الدول الأوربية.

وبعد أن توفى لويس الثامن عشر خلفه على عرش فرنسا " شارل العاشر"[١] ذلك الملك الذى حاول العودة بفرنسا إلى نظام ما قبل الثورة، فأمر بالحد من حرية الصحافة، وحل البرلمان، ومنح تعويضات مالية للنبلاء المهاجرين، مما أدى إلى خلاف حاد بينه وبين الشعب انتهى باقصائه عن العرش، وتوليه لويس فليب مكانه.

وقد قبل الملك الجديد الانضواء تحت علم الثورة الفرنسية ذى الثلاثة ألوان، والسير بمقتضى النظم الديمقراطية مما جعله يحصل على رضا الشعب الفرنسى وتأييده[٢]. وبخاصة وأنه كان خبيرا بشئون الحكم ويملك من القدرة والذكاء ما مكنه من ادارة دفة الأمور بحكمة واقتدار، ومع ذلك فقد جلب تساهله الزائد مع بريطانيا، وعدم اهتمامه بأمر رجال الدين إلى اصطدامه مع التيار البونابرتى الذى كان يتزعمه لويس بونابرت، وأعاد فيه إلى الأذهان اسم نابليون وانتصاراته وأمجاده، وإلى اصطدامه ايضا مع التيار الجمهورى الاشتراكى الذى كان ينادى به أتباع سان سيمون، ويدعو إلى ضرورة تنظيم العمل والغاء مبدأ التوريث، واصلاح

---

(١) تم غزو الجزائر فى عهده، ويذكر رفاعه الطهطاوى الذى كان موجودا فى فرنسا خلال هذه الفترة أنه عندما جاء خبر وقوع الجزائر فى يد الفرنسيين إلى رئيس الوزراء "بولنياك" أمر- باطلاق مدافع الفرح والسرور، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال حيث تم الاطاحة به وبمليكه فى العاشر من يوليو ١٨٣٠.
انظر: تخليص الابريز فى تلخيث باريز، طبعة ١٩٥٨، ص ٥٠.

(٢) تعرض رفاعه للخطوات الدستورية التى اتخذت لتولية " لويس فيليب" ملكا على الفرنسيين، وكيف قبض الشعب الفرنسى على وزراء شارل العاشر وكيف حاكمهم، ويذكرنا اعجاب رفاعه بنظام القضاء فى فرنسا بما سبق من اعجاب المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى به عند تعرضه لمحاكمة سليمان الحلبى قاتل كليبر.
أنظر:تخليص الابريز، ص ٢٦.

أحوال الطبقات ولما قاومت الحكومة هذه المطالب وجدت نفسها أمام عصيان شعبى، مما دفع الملك إلى التنازل عن العرش والهرب من انجلترا.

وخلال ذلك برزت فكرة الجمهورية على مسرح الاحداث وتزعمت باريس الدعوة إليها.

وفى الاستفتاء الشعبى الذى عقد فى العاشر من ديسمبر ١٨٤٨م، لانتخاب رئيس الجمهورية نال لويس بونابرت معظم أصوات الناخبين، ونتيجة ذلك دخلت فرنسا مرحلة جديدة من حياتها.

الأمبراطور نابليون الأول